

التراكمية المعرفية والبحث العلمي في الجزائر (نظرة مستقبلية)

د/ محمد شطوطي

جامعة بوزريعة- الجزائر

إن البحث العلمي نوعان: الأول بحث أكاديمي، أي جامعي، وفي الغالب أنه بحث متخصص يقوم به الباحث من أجل ترقيته والوصول به إلى المراتب العليا في التعليم الجامعي، وهذا البحث له مجرياته القانونية والتربوية لتحقيقه.

والثاني بحث لكنه ليس من أجل ترقية، ولا من أجل مرتبة في التعليم العالي، وإنما هو دراسة متخصصة أو غير متخصصة يقوم بها الأستاذ الباحث من أجل الإطلاع، والكشف عن موضوع شغله ويراها أنه موضوع دراسة وتحليل، وفي كثير من الأحيان هي دراسة نقدية جادة تسعى إلى كشف حقيقة الموضوع، والعمل بنتائجه في مجال الفكر كمواقف، وفي المجتمع كأراء تساعد على حل بعض المشكلات الاجتماعية ومعالجتها، والمهم أن الدراسة التي يقوم بها الأستاذ الباحث هي في الحقيقة مشاركة يريد بها أن لا يتوقف التفكير والبحث في الجامعة..

وإذا كانت الجامعة الجزائرية من حين لآخر تقيم الأيام الدراسية والملتقيات حول مسار الجامعة، والبحث العلمي، فإن الغاية منها هي ترقية البحث العلمي من جهة وفتح مجال -لا يمكن أن لا يكون في الجامعة الجزائرية- للأستاذ الباحث في الجامعة كي يشارك في إنماء البحث من جهة أخرى، والعمل على مواصلة الإهتمام بالمجتمع من خلال البحوث الجادة، والهادفة وخاصة تلك التي لها علاقة بالعمل، والإقتصاد...

وتريد الجامعة بهذه الملتقيات والأيام الدراسية، والمخابر، والبحوث وما يصرف من أموال هي أن يتواصل العمل الجامعي في خطواته الطبيعية للإستفادة من البحوث والمخابر لنشر الثقافة المعرفية الجادة في وسط الحياة الجامعية وخارج الجامعة عن طريق المجالات المتخصصة، والمحاضرات العامة، والمؤلفات لأصحابها من الأساتذة، والدكاترة، والباحثين المهتمين.

د/ محمد شطوطي

فما هو البحث ؟ وهو سؤال مشروع ولأن البحث دائما يبدأ بالسؤال، فالغاية من السؤال هو في طريق الإجابة عنه لهدف يتحقق، ولذا يرى البعض أن الإنسان كائن سؤالي (الزائد، م، 1975: 274)، وهناك تعريفات عديدة حول موضوع واحد لكن الذي هو مؤكد أن الإنسان هو الوحيد الذي يضع التعريفات (Eric, weil. 1967: 3) ويحققها، فإذا تماشت مع بحثه يكون قد وصل إلى ما يريد من بحثه، وإلا صحح، ونقح وأعاد ترتيب، وتركيب موضوع بحثه مع وضع خطة تتناسب وخطوط بحثه مع تعريف أو أكثر.

وعليه أقول أن التعريف الذي نريده ههنا هو أن البحث طريقه عمل للوصول إلى الغاية دون التفصيل للطريقه، لأن الطريقة تختلف من حيث التفاصيل من باحث لآخر لإختلاف الموضوعات المطروحة على بساط البحث والدراسة...

وينبغي أن أشير ههنا إلى معنى لفظة التراكمية التي وردت في عنوان هذه المقالة، فأقول: أن التراكمية في المعرفة هي بناء هرمي تراكمي شاركت فيه حضارات انسانية، واستغرق في تطورها عدة قرون (طلعت همام، 1984: 44)، وقد استلقت أنا هذا المعنى من لفظة التراكمية لأقول أن المعرفة موجودة في بحوث لأصحابها لكن لم تعرف النور في وقتها المناسب إلا القليل منها... فهي لا تزال في صورة مخطوطات رسائل ماجستير، أطروحات دكتوراه، وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة أخرى.

إن البحوث التي انجزت في الجامعة الجزائرية عديدة ومتنوعة نتمنى أن تخرج من رفوفها إلى القراء، والدارسين، وفي ذات الوقت لنشر ثقافة القراءة من خلال طبع هذه البحوث الكثيرة ومن هنا تبدأ هذه الثقافة والمقروئية من خلال هذه الثقافة المتخصصة.

لأن القراءة مفتاح الحضارات، والثقافات، وبها فقط يستطيع المجتمع أن يتغلب على المشكلات المعاصرة، وهي في ذات الوقت توحيد للجهود المبذولة حول ادراك الحلول المناسبة، والعمل بها.

إن البحث ضرورة ملحة في كل مجتمع لمعايشة العصر، ولا يمكن أن لا يكون وفي كل ميادين الحياة، وهي كثيرة لإدراك مناخيه، وحل مشاكله، والعمل بالبحوث ونتائجها

التراكمية المعرفية والبحث العلمي في الجزائر (نظرة مستقبلية)

يساعد على تطور المجتمع وتقدمه (تعتبر الجامعات البيئة العلمية المناسبة والصالحة لإعداد البحوث، فهي امتداد لمراحل علمية سابقة تخرج منها الباحثون، والموهوبون، وعلى اعتبار أن خريجي الجامعات هم الصفوة المختارة من رجال العلم الذين يقع على كواهلهم مسؤولية النهوض بالمستوى الفكري بصفة عامة، والعلمي والفلسفي بصفة خاصة، ومن ثم تجديد العلوم والمعارف بالإضافات، والإكتشافات الجديدة ونشرها كي تعم الفائدة، ويعم الخير للمجتمع (غازي عناية، 1985: 13).

لقد كان المنهج عند القدامى وخاصة عند أرسطو (322-384) ق.م هو البحث لا غير (Lalande André, 1988: 623) ويفهم من هذا أن المنهج بلا موضوع يدرسه لا شيء، وبحث بلا منهج لا ينتج شيئا على الإطلاق ! وبدايات كل بحث جاد يبدأ دائما بالتساؤل (الزائد، م، 1975: 277)، ومن ماهية البحث العلمي هو أنه يسمح للباحث أن يقرر بصدق، وسلامة خطوات البحث، أو بخطأ خطواته وعليه أن يعيد النظر في منهجية بحثه ولا يمكن أن يكون هذا بالإيجاب، أو بالسلب إلا بالبحث، والتنقيب، ونظرية ألبرت آينشتاين في هذا الموضوع بسيطة ورائعة إذ يقول: (لا يمكن أن تخدم إن لم تهersh) نقلا عن (ديرك، 1961: 37)، ويقصد بالخدم الوصول إلى اللباب، وبالهرش أو الحك البحث والتنقيب، كل ذلك من البحث في حقيقة الموضوع ومكوناته إذن الحقيقة بسيطة لكن تتطلب جهدا وصبرا للوصول إليها.

إن البحث العلمي له صورتان: نظرية وتطبيقية، والنظري له مجاله كالفلسفة، والتطبيقية كعلم النفس، وعلم الاجتماع... لكن الأهم هنا أن أشير إلى العلاقة التي هي بين البحوث النظرية، والتطبيقية فأقول أن العلاقة بينهما موجودة ضمنا وهي في تعاون إذا أردنا التكامل، والتقدم للمجتمع المعاصر!؟.

ومن مؤسسات البحث العلمي نذكر بعضها؛ وهنا، وهي المؤسسات الجامعية، والمؤسسات العلمية الحكومية الخاصة، والمؤسسات العلمية الخيرية، والمؤسسات الإقتصادية... (غازي عناية، 1985: 13) وأهم مؤسسات البحث العلمي على الإطلاق هي المؤسسات الجامعية؛ لأنها لا تختص بمجال دون مجال، فهي تهتم بكل قضايا

د/ محمد شطوطي

المجتمع من خلال البحوث التي تقدم أمام لجان المناقشة، أو من خلال الدراسات العامة للأساتذة الباحثين في الجامعة.

ومن شروط البحث العلمي، قال: ألبرت آينشتاين (1879-1955)م (إذا أردت أن تأخذ بعض الشيء من علماء الفيزياء النظرية من حيث المناهج التي يطبقونها... اقترح أن تلاحظ الأسس (أي أسس المنهج)، ولا تسمع لهم وخذ بأعمالهم المنجزة) (Einstein, Abert, 1958: 146) لأن المناهج تختلف من موضوع إلى موضوع ومن ظرف إلى ظرف... وعليه، فإن الباحث هو المسؤول على خطوات منهجه في البحث وليس غيره وهذا لا يفتقر إلى توضيح.

ولقد كتب بافلوف (1849-1936)م بيولوجي روسي جائزة نوبل 1904م قال قبيل موته: "ما الذي أستطيع أن أتمناه لشباب أمتي الذين يكرسون حياتهم للعلم: أولاً: التدرج، والواقع أنني لا أستطيع أبدا أن أتمالك نفسي من الإنفعال كلما تكلمت في هذه الناحية التي هي أهم شروط للبحث العلمي المثمر إنه: التدرج التدرج... ثم التدرج، وإياك أن تبدأ خطوة تالية دون أن تكون قد تمكنت من الخطوة السابقة، ولكن لا تكون مجرد أداة تسجيل للوقائع، بل حاول أن تنفذ إلى سر حدوثها باحثا باستمرار عن القوانين التي تتحكم فيها.

ثانياً: التواضع، وإياك أن تدع الغطرسة تستحوذ عليك، فإنها تجعلك عنيدا حين تلزم الموافقة، وتمنعك من قبول المساعدة النافعة الصادقة وتفقد الروح الموضوعية.

ثالثاً: الشغف/ تذكر أن العلم يتطلب من الإنسان كل حياته، ولو كانت لك حياتان لما كانت كائنتين لك، فكن شغوفا في عملك وبحثك (بقردج، و، أ، 1983: 244)، ولكل بحث منهجه الخاص به، فالمنهج في العلوم الإجتماعية غير المنهج في العلوم الإقتصادية، وهما غير منهج العلوم التطبيقية ومن خلال المنهج يتضح موضوع البحث، ومعاله، وبالتالي تحديد حلول مشكلاته والعمل بنتائجه (Pontsevrez, 1903: 95)

ومن شروط انجاح البحث العلمي أقول لما كان البحث هو في طريق إلى بعض الحلول في قضايا، ومشاكل معينة يعاني منها المجتمع أو في الفكر، فإن انجاح البحث هو

التراكمية المعرفية والبحث العلمي في الجزائر (نظرة مستقبلية)

تطبيقه على أرض الواقع وامتحانه وتتبع نتائجه، ومنه نستطيع الحكم على البحث بالإيجاب، أو بالسلب، أو حتى بالتقويم بعد التقييم (Lalande, André, 1988: 623) وأن يعطى للباحث فرصة أن يشرح بحثه، وكيفية تطبيقه، ومشاركته في انجازه من الناحية التطبيقية...

تلك هي الطريقة المثلى لإنجاح أي بحث مع تزويد الباحث بالوسائل والأدوات أثناء التطبيقي الميداني...

ومن الإقتراحات التي أراها في موضوع ترقية البحث العلمي في الجزائر هي:

- 1- أن تعطى فرصة للباحث لعرض بحثه في ملتقيات، أو ندوات لوقت كاف لذلك.
- 2- مساعدة الباحث على طبع بحثه ونشره كمؤلف في كتاب يقرأ..
- 3- التسهيل للباحث أن ينشر أجزاء من بحثه، أو بعض الفصول منه في المجلات المتخصصة التابعة للجامعة.
- 4- تزكية عمل الباحث لدى نشر بحثه في دار من دور النشر، أو في ديوان المطبوعات الجامعية... لأن البحث لا يستفاد منه إذا مر عليه زمن خارج الإحتياج له، وخاصة في العلوم التطبيقية..

وبهذا فقط نستطيع أن نقول بأن البحوث العلمية في الجامعة هي في طريق تنمية المجتمع. وأن للباحثين مشاركة في طرح قضايا المجتمع، وأخص بالذكر ههنا أساتذة الفلسفة، لأن الفلسفة بصفة عامة هي التفكير العميق في المسائل التي تطرأ على أحوال الإنسان فكل تفكير عميق على أساس عقلي بحث، وعام يعد فلسفة...

لكن في نطاق الأحوال العامة للإنسان لا الأحوال الجزئية، فالتفكير في الجزئيات هو من شأن العلوم: فيزياء، كيمياء، وفلك... ولا نستثني العلوم الإنسانية والإجتماعية كعلم النفس، وعلم الاجتماع وغيرهما وكذا التفكير في العدد الذي مجاله الرياضيات، ولكن التفكير في الأحوال الإنسانية بوجه عام كالأخلاق، والمنطق وعلم الجمال... كل هذا هو في طريق الفلسفة، والتفكير الفلسفي (عبد الرحمن بدوي، 1975: 12) مجلة الثقافة العدد الخامس، وفي الأقوال القديمة قيل: (أن الذي يحب، يجب أن يضحى)

د/ محمد شطوطي

(André Cresson, 1962: 17) فالباحث كثيرا ما نراه يضحى بأشياء من أجل أن يتفرغ لبحثه، وانجازه..

ولهذا، فإن مشاركة الباحث لها مكانتها في المجتمع، والإعتراف بجهوده معناه تقدير الباحث، وصورته أن يخرج بحثه إلى عالم القراء.. والإطلاع على ما أنجزه، هي سعادته في توعية القارئ بما طرحه في بحثه وفي العلاقة بين البحث النظري والبحث التطبيقي.

يرى ألبرت آينشتاين أن النظرية بدون تجربة (تطبيق) تولد، وتموت دون أن تعطي شيئا (عادل عوض، 2005: 151)، وهذا لا يعني أن الباحث لا يتطلب منه الجهد كي يخرج أعماله إلى القراء وإنما بمفرده لا يستطيع ذلك مهما فعل، وتبقى أعماله محبوسة في رفوف مكتبته..

وقد قال ديكارت (1596-1656)م، (أكون صادقا إذا قلت أنه كي يصل الفيلسوف إلى مبتغاه من بحثه أن يكون شجاعا، وقويا وصادقا (Rogez Lefèvre, 93: 1957)، وهذا ينسحب على كل باحث مهما كان ميدان بحثه النظري، أو التطبيقي.. واختتم هذه المقالة، فأقول إن البحث الناجح هو ما كان في طريق العمل به في المجتمع وترقية البحث العلمي في كل ميادين الحياة لحل كثير من المشاكل التي تطرأ من حين لآخر بفعل التطور العلمي والتكنولوجي، لأن المجتمع يتغير ولكن بالبحث يتغير نحو الأحسن تماشيا مع روح العصر.

والباحث في حاجة إلى تشجيع مادي، ومعنوي، وذلك بنشر بحوثه والعمل بها، والبحث على مواصلة العمل في توظيف البحوث الجامعية دون تأجيل وبذلك تنتشر ثقافة نفتقها حول القضايا المعاصرة، وما أكثرها في هذا الزمن. ! ويكون البحث العلمي قد حقق للمجتمع معرفة قادرة على حل الكثير من المشكلات الاجتماعية والإنسانية والعلمية..

ولا بأس أن أقول ههنا أن التراكمية المعرفية ليست عيبا، ولا نقصا في معناها: الكثرة، والكم، والتنوع وإنما العيب كل العيب، والنقص، كل النقص في وجود هذا

التراكمية المعرفية والبحث العلمي في الجزائر (نظرة مستقبلية)

التراكم المعرفي دون الإستفادة منه ومن الذين يقومون به وهذا التوظيف ذاته هو الذي يقيم الأعمال المعرفية ويصحح مسارها.

وبالتالي فإن امتحان هذه التراكمية المعرفية لا يمكن أن تكون إلا بنشرها وامتحانها واستغلال مناحيها في مجالها، وهي أقصر طريق للتقدم المعرفي، والعلمي على الإطلاق، وقد عرفت الجامعة الجزائرية في هذه السنوات الأخيرة فيضا من البحوث العلمية المتخصصة في مجالات عديدة، وهذا يدل على أن البحث العلمي في الجزائر هو في طريق معبد إذا أردنا الحقيقة وخاصة إذا أدركنا مستقبل الجامعة الذي هو مرهون بالبحوث والدراسات لمعالجة قضايا المجتمع، وبالتالي نكون قد عبدنا الطريق إلى المستقبل وإلى شباب الغد، بكل معنى الكلمة، فالتعاون بين الأساتذة، والرغبة في البحث خدمة للمجتمع وبين تشجيع هؤلاء الأساتذة من لدن المؤسسات المعنية هو تعاون ثنائي لا يمكن أن لا يكون، إذا أردنا أن تكون الجامعة في خدمة المجتمع، فنظرتنا إلى المستقبل نظرة متفائلة جدا، إذا أخذنا بالأسباب الحقيقية والأمل كبير في تحقيق ما لم نحققه من ذي قبل.

-ملاحظات واقتراحات:

أولا: تشجيع الطلبة على إختيار بحوثهم:

لقد لاحظنا أن البحوث المختارة من طرف الطلبة على كل المستويات هي بحوث ترى النور بعد حين وهي في طريق الغاية منها: لأن الباحث الذي اختار بحثه بناء على رغبته من جهة، ووجود المادة التي تساعد على إنجاز هذا البحث من جهة أخرى هي بحوث هادفة ولا تكون صعبة المنال على الباحث لأنه هو الذي اختار موضوع البحث وليس غيره، ولا يشعر بالملل، ولا بالكلل كالذين أختير لهم موضوع البحث أو إختاروا هم موضوع البحث على أساس نظرة الغير إليه دون رغبة وميل منهم، ولا على أساس الوسائل المساعدة على نجاحه كالمادة، والمنهجية وتخصص المشرف.

فإذا اختار الباحث موضوع بحثه نقول أنه أقصر طريق للنجاح، وخاصة تلك البحوث التي تتقيد بالزمن، أي بالمدة المحددة للإنتهاء من إنجاز البحث كالماجستير والدكتوراه.

ثانيا: دور المشرف:

من الأمور التي يجب الإلتفات إليها بجدية والاهتمام بمسارها هي علاقة المشرف بالباحث، فكلما كانت علاقة احترام، كلما كانت علاقة منتجة نحو تحقيق البحث في صورته السليمة، وفي زمن لا يتجاوز الزمن المطلوب لإنجاز البحث، فالاحترام المتبادل بين المشرف والباحث له ما يبرره، وهو نجاح الباحث في بحثه وتوفيق الأستاذ المشرف نحو تكوين إشارات المستقبل.

ثالثا: تخصيص حصص للمنهجية في الجامعة:

قال: ميشال بود، صاحب كتاب فن الأطروحة: << لا وجود للبحث بلا منهجية >> (Michel, Beaud, 1999: 27).

وعليه، فإن على الباحث أن يبدأ بدراسة المنهجية قبل الشروع في إختيار موضوع بحثه، ومنه فإن تخصيص حصص للمنهجية والتدريب عليها بإشراف أساتذة يساعد الطلبة على اقتصاد الوقت، والدقة في العمل.

رابعا: قراءة الباحث هي في طريق اختيار تصور موضوع بحثه:

إن القراءة الجادة من طرف الباحث في المصادر والمراجع هي وسيلة لاختيار الموضوع وفي ذات الوقت وضع تصور دقيق للموضوع يعرض على الأستاذ المشرف مع خطة مؤقتة...ثم تليها مرحلة جمع المادة الأساسية للمشروع في البحث.

خامسا: الاتصال بالأستاذ المشرف:

هي مرحلة مهمة...خاصة بالأستاذ المتخصص، وهو أولى من غيره من الأساتذة.

سادسا: تشجيع الأساتذة على التأليف:

إن تشجيع الأساتذة على التأليف في مجال تخصصهم يساعد الطلبة على الإطلاع وخاصة من لدن أساتذتهم بنشر كتبههم والاقتراب منهم من خلال مؤلفاتهم مع جدول محاضرات عامة طوال السنة الجامعية، في فن البحث العلمي.

التراكمية المعرفية والبحث العلمي في الجزائر (نظرة مستقبلية)

سابعاً: النتائج المنتظرة:

لقد رأينا بحوثاً كثيرة في رفوف المكتبات الجامعية لم تنشر بعد..وقد نوقشت من سنوات في كل المجالات العلمية تقريباً، وسؤالنا المشروع لماذا لم تنشر ؟ والإجابة قد تكون من وجهين:

الوجه الأول: قد يعود السبب إلى الباحث الذي لا يرغب في نشر بحثه لسبب يعرفه هو. الوجه الثاني: قد يكون البحث ليس بالذي يهتم الكثير لأنه نظري بالأساس فيبقى على الورق في رفوف المكتبات الجامعية كمخطوط.

وللقضاء على التراكمية المعرفية من جانبها السلي أن نشجع الباحثين في مراجعة بحوثهم الموضوعة في مكتبات الجامعة هذا من جهة، وأن تقوم الجامعة بتشجيع الباحثين على نشر بحوثهم بعد مراجعتها وخاصة تلك التي لها علاقة بالمقررات الجامعية.

لقد بدأ ديوان المطبوعات الجامعية في السنوات الأخيرة يهتم بالبحوث الجامعية هذا صحيح، ولكن نريده أن يكون شاملاً لكل مجالات العلم بالجامعة، وهذه خطوة مهمة بدأت مع علم النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع، والتاريخ...

وهذا هو الذي دفع بي أن أقول إن مستقبل البحث العلمي في الجزائر له ما يبرره نحو الأحسن وهناك، وزارة الثقافة التي بدأت تنشط في مجال نشر الابداع الأدبي والفلسفي وهذا يبشر بالخير.

نتمنى أن يكون البحث العلمي في الجزائر هو طريق في المشاركة الفعلية للإنجازات الكبرى المنشودة لبناء صرح متكامل من المعرفة الهادفة نحو بناء مجتمع لا يفتقر إلى شيء في مواكبة العصر من كل جوانبه الأساسية.

المراجع الأساسية باللغة العربية:

- 1- بقرج، ج، أ، ب، فن البحث العلمي، ط4، ترجمة زكريا فهي، دار اقرأ بيروت، لبنان، 1983.
 - 2- ديرك، ج، صولا برايس، العلم من عهد بابل، ترجمة: الشيخ نسيب وهيبه الخازن، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1961.
 - 3- طلعت همام، سين، وجيم عن مناهج البحث العلمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1984.
 - 4- عادل عوض، فلسفة العلم في فيزياء آينشتاين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، 2005.
 - 5- عبد الرحمن بدوي، الوضع الفلسفي الراهن في العالم العربي حاوره الدكتور الجنيدي خليفة، مجلة الثقافة، العدد الخامس، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1975.
 - 6- غازي عناية، إعداد البحث العلمي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1985.
 - 7- محمد الزايد، المعنى والعدم، بحث في فلسفة المعنى، قدم له، خليل الجر، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1975.
- المراجع الأساسية باللغة الأجنبية:

- 1- Abert Einstein, Comment je vois le monde, Traduit de l'Allemand par Maurice Solovine, Flammarion, Paris, 1958.
- 2- André Cresson, Schopenhauer sa vie son ouvre, P.U.F, Paris, 1962.
- 3- André Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie, 6^{ème} édition P.U.F, Paris, 1988.
- 4- Eric Weil, Logique de la philosophie 2^{ème} édition, Librairie philosophie, J.Vrin, Paris, 1967.
- 5- Michel Beaud l'art de la thèse casbah éditions Alger 1999.
- 6- Pontsevrez P.D. Principes de la philosophie scientifique et de philosophie morale, Librairie Hachette, Paris, 1903.
- 7- Rogez Lefèvre, L'humanisme de Descartes P.U.F, paris, 1957.